

حوار الحضارات

أ. طاهر أحمد محمد الريامي

كلية الحضارة الإسلامية - جامعة التكنولوجيا الماليزية (Utm)



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

حوار الحضارات

المقدمة :

إن الأمة الإسلامية بل جميع الأمم تعيش اليوم متغيرات كثيرة، أنتجت تحديات عديدة، وصراعات شديدة، وامتدت تلك الصراعات لتشمل مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفلسفية، وتتنوع أساليب الناس في مواجهة هذه الصراعات؛ فبعض الناس اتجهوا إلى منطق القوة لفرض ثقافتهم وفلسفتهم على الآخرين، والبعض الآخر اتخذوا طريق الحوار لعرض ثقافتهم وحضارتهم، وصنف ثالث وقصوا محتارين مترددين بين الخوف والمواجهة.

ومن هنا ظهر الصراع بين الحضارات، ذلك الصراع الحضاري الذي لا يزال يمتد يوماً بعد يوم حتى شعر الناس بضرورة توقف هذا الصراع، وتبلورت الفكرة لدى جملة من المثقفين والمهتمين ليظهر ما يسمى بـ "حوار الحضارات"، فعقدت اللقاءات والمؤتمرات والندوات على المستويات المحلية والمستويات الدولية في أماكن مختلفة من العالم تحت هذا المسمى حوار الحضارات.

ويقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جاد وصادق بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري، تقوم الضرورة القصوى لتهيئ الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار، وإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة لتتحقق الغاية المنشودة.

خطة البحث :

أولاً - مشكلة البحث : يمكن صياغة مشكلة البحث في الأسئلة التالية :

- ما المقصود بحوار الحضارات؟ وهل هناك أسس وضوابط لهذا الحوار؟ وهل من الممكن أن يتم هذا الحوار في ظل الصراعات الموجودة ووجود منطق القوة والهيمنة؟
- وهل ما يحدث بين الحضارات هو صراع؟ وما هو أصل العلاقات بين الحضارات؟ وهل لدينا مشروع واضح للحوار مع الحضارات الأخرى؟

ثانيا - أهداف البحث :

- ١ - التعرف على مفهوم وواقع الحوار بين الحضارات.
- ٢ - توضيح أسس الحوار وأصالته في الإسلام.
- ٣ - تبين أن ثقافة الحوار هي البديل عن الصراع بين الحضارات.
- ٤ - تأكيد حرص الإسلام وقابلية العالم الإسلامي لحوار الحضارات.

ثالثا - أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من القناعة التامة بدور حوار الحضارات في تحقيق التعايش ونشر السلام وإحلال الحوار محل الصراع بين الحضارات.

رابعا - محتوى الدراسة:

تمهيد: ويشتمل على تعريف حوار الحضارات.

المبحث الأول: موقف الإسلام من حوار الحضارات

المبحث الثاني: أسس الحوار بين الحضارات في الإسلام.

المبحث الثالث: الحضارات بين الحوار والصراع.

المبحث الرابع: ملامح المشروع الإسلامي لحوار الحضارات.

الخاتمة: وفيها:

أ - خلاصة البحث.

ب - نتائج البحث.

ج - توصيات البحث.

تمهيد :

مرت في هذا العالم أحداث مختلفة من حروب وفتن واضطرابات وصراعات؛ منها الحرب العالمية والحروب المختلفة، وتسارعت الأحداث ما بعد الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١، فتغيرت ظروف الحوار بين الحضارات وتطبيقاته بصورة جذرية، وكان من جملة هذه التغيرات أن "تموضعت العلاقات الدولية في حيز من النظام الدولي الجديد المتميز بأحادية قطبية تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، مقابل أحادية قطبية مهيمن عليها، وممثلة

بالعالم الإسلامي والعربي منه تحديداً" (١).

ونشأ بسبب ذلك صراع حقيقي بين هذين القطبين يحتم علينا جميعاً أن نعود إلى الفكر الحوارى الحضارى لإنقاذ تلك الأزمة القائمة.

مفهوم حوار الحضارات :

معنى الحوار: اشتقاق لفظ الحوار في اللغة من مادة (ح و ر) التي تحمل من الدلالات الكثير، وذكر علماء اللغة أن له معاني متعددة تبعاً لتفعيلاتها الصرفية، فقد جاء في صحاح الجوهري، ما يلي: "المحاورة المجاورة، والتجاوز: التجاوب. ويقال: كلمته فما أحرأ إلي جواباً، وما رجع إلي حويراً، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حواراً. (بفتح الحاء وكسرها). أي ما رد جواباً." (٢)

وورد في تاج العروس: "الحوير كأمير والحوار بالفتح، ويكسر... كلمته فما رجع إلي حواراً، وحواراً، ومحاورة وحويراً، ومحورة. وأنه لضعيف الحوار، أي المحورة." (٣)

تعريف الحوار اصطلاحاً: بعد هذا العرض المدلول اللغوي يمكن أن نحدد المعنى الاصطلاحي للحوار بأنه: "نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، و يغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة و التعصب." (٤)

وأما الحضارة فقد جاءت لها عدة تعريفات مختلفة منها ما يلي:

(١) قيل في تعريفها " ذلك الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان" (٥).

(٢) وقال آخرون هي "مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وأفكار، ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة، أو بعبارة مختصرة "جميع مظاهره النشاط البشري الصادر عن تدبير عقلي" (٦).

(١) أكرم حجازي: بين توتر الذات وصمم الآخر ثمة محاولات للعقلنة، ورقة قدمت إلى ندوة حوار الثقافات التي عقدها كلية الآداب في جامعة تعز- اليمن، الموسم الثقافي السنوي، ٢٣/٥-٦/٣-٢٠٠٤.

(٢) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح، (١٩٧٩م)، دار العلم للملايين، بيروت.

(٣) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.

(٤) ديماس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، (١٩٩٩م)، دار ابن حزم، الرياض، ص ١١.

(٥) محمد عمارة: التراث والمستقبل، القاهرة: دار الرشد، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٢١٥.

(٣) وقول رأى: "أن الحضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية"^(٧)، ولهذا كانت الحضارة هي الخطة العريضة كمًّا وكيفًا، التي يسير فيها تاريخ أمة من الأمم. ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة، ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان، أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة.

وهذا القول الثالث هو الأقرب من التعاريف السابقة لأنه جمع بين الجانبين المهمين وهما: المادة والروح، وهما أهم مقومات الحضارة.

فالحوار بين الحضارات من خلال هذه التعاريف هو عبارة عن تزواج وتبادل الثقافات الإنسانية بين مختلف الحضارات. ليشمل هذا التزاوج مختلف الجوانب (السياسية والاجتماعية والتكنولوجي) مع احتفاظ كل حضارة بما لها من قيم خاصة.

المبحث الأول: موقف الإسلام من حوار الحضارات

إنَّ التدافع بين الأمم سُنَّة ماضية، وبها تتحقَّق حكمة من حكم الله الباهرة؛ قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

والاختلاف سُنَّة طبيعية سننها الله تعالى بين البشر، فيختلف الناس في عدة نواحي منها:

(١) اختلاف البشر في أشكالهم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَالِدَاتُ إِذَا حَمَلْنَ﴾^(٧).

(٢) اختلاف البشر في أعمالهم وتصرفاتهم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾^(٨).

(٣) اختلاف البشر في أفكارهم ومعتقداتهم: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(٩)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾* ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمْ﴾^(١٠).

ونستخلص من هذه الآيات السابقة نتيجتين حتميتين:

(٦) [البقرة: ٢٥١].

(٧) [الروم: ٢٢].

(٨) [الليل: ٤].

(٩) [يونس: ١٩].

(١٠) [هود: ١١٨ - ١١٩].

الأولى: أن الاختلاف بين البشر أمر ليس منه مفر، فهو طبيعة بشرية وسنة كونية.

الثانية: أن التدافع بين البشر سنة كونية ونتيجة حتمية لوجود الاختلاف.

ولولا وجود هاتين الصفتين في البشر لأصبحوا نسخة واحدة على منهج واحد، وملة واحدة، وهذا خلاف مقتضى الحكمة؛ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(١١)، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١٢).

إن الإسلام كمنظومة ذات قيم ومبادئ عليا، يحفز ويحرض المسلمين في كل العصور، على ممارسة دور الشهود والحضور في هذه الحياة. ولا يمكن أن يمارس المسلمون هذا الدور إلا بالتفوق الحضاري، الذي يؤهل المجال الإسلامي لممارسة دوره ووظيفته التاريخية، وفي إطار ممارسة دوره التاريخي، يؤكد الإسلام على ضرورة التواصل والحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى، وذلك من أجل تعميق الجوامع المشتركة وتفعيلها وصيانة المنجزات الإنسانية والحضارية، وبلورة دعائم نظام عالمي يكون أقرب إلى الحرية والعدل والتسامح؛ لأن الإسلام ليس في صراع إلا مع العناصر العدوانية الشريرة التي تهدد وجود الإسلام ومعتقديه، تاركا للجميع حرية اختيار العقيدة والفكر والمذهب وطريقة الحياة، أكد ذلك الخالق تبارك وتعالى بقوله: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(١٣)

يقول القرضاوي: إننا نحن المسلمين - نؤمن بالحوار؛ لأننا مأمورون به شرعا. وقرأنا مليء بالحوارات بين رسل الله وقومهم، بل بين الله تعالى وبعض عباده، حتى إنه سبحانه حاور شر خلقه: إبليس. ولهذا نحن نرحب بثقافة (الحوار) بدل ثقافة الصراع سواء بين الحضارات أم بين الديانات. ولا نوافق على منطق بعض المثقفين الأمريكيين مثل "هاننتجتون" الذين يؤمنون بحتمية الصدام بين الحضارات، وخصوصا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.^(١٤)

(١١) [المائدة: ٤٨].

(١٢) [السجدة: ١٣].

(١٣) [الغاشية: ٢١: ٢٢].

(١٤) يوسف القرضاوي: الحوار بين الإسلام والنصرانية، موقع إسلام أون لاين، ركن الإسلام وقضايا العصر، بتاريخ ١٣/٨/٢٠٠٥.

ولبيان رأي الإسلام في حوار الحضارات لا بد من تحديد المقصود بهذا الحوار فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فالحوار بين الحضارات أنواع وكل نوع له حكم خاص به يبنيني على معرفة المراد والمقصود به.

أولاً : حوار التعريف بالحضارة الإسلامية

وهو المرتبة الأولى من مراتب الحوار ويعني الحوار مع أتباع الأديان الأخرى لبيان صحة الدين الإسلامي وأنه ناسخ لكل الأديان السابقة وإيضاح صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ومحاسن الإسلام وبيان باطل الأديان الأخرى. ولا غرو أن هذا النوع من الحوار هو الذي ينادي به الإسلام وهو المطلوب شرعاً وهو ثابت بآيات وأحاديث كثيرة.

ثانياً: حوار التعايش مع الحضارات

هذا النوع من الحوار يعرف على أنه "الحوار الذي" يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، وربما تكون أقليات دينية، ويُعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجّرين، واللاجئين ونحو ذلك،. وقد يطلق عليه البعض اسم "التسامح" وهو نوع من التعايش والتسامح مع أهل الأديان الأخرى لا يرفضه الإسلام ولا يزيد في مفهومه عن حسن المعاملة والعيش بصورة ملائمة بين كافة المجتمعات مع الاختلاف الديني والفكري والثقافي. وهذا هو المقصود من قوله عز وجل ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١٥).

مع الأخذ بالاعتبار أن هذا التعايش لا يتضمن الاعتراف بصحة الأديان وليس فيه تنازل عن أحكام الدين لترغيبهم في التعايش أو إعطاء صورة حسنة عن الدين فهذا النوع من الحوار لا يرفضه الإسلام وهو وارد في الكتاب والسنة إذا سار على ضوابطه الصحيحة. وهذا النوع من الحوار يقرر أركانه ومدى التعامل به أهل الحل والعقد والخبرة العلم. وهو وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد عاهد يهود المدينة وتفاوض

(١٥)(المتحنة: ٨)

معهم وصالح أهل مكة في الحديبية وتفاوض مع أهل الأديان الأخرى بشأن معيشتهم وحياتهم دون الخوض في أديانهم أو التنازل عن شيء من أحكام الدين الإسلام .

ثالثاً: حوار التقارب

هذا النوع من الحوار لا يمكن قصره على مدلول اصطلاحى بعينه فالفظ التقارب والتقريب مأخوذ من القرب وهو أمر نسبي يتفاوت حقيقته وتطبيقه، فيختلف حكمه باختلاف مدلوله فكلما كان التقارب فيه مس للثوابت أو تنازل عن المسلمات كلما تأكدت حرمة وكلما كان التقارب بعيداً عن مس الثوابت الدينية والمسلمات كلما زالت الحرمة.

فالإسلام قد دعا إلى الحوار بل هو طريقة الأنبياء في دعوتهم وإيصال رسالات ربهم - فهو سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام - ولكن الحضارة الغربية لم تنظر إلى تعاليم الإسلام ونصوصه الصريحة في الأمر والدعوة إلى الحوار والتفاعل الثقافى بين الشعوب والحضارات بعين الحيادية والتجرد من الهوى فالحوار والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك بما يساعد على العيش بسلام وأمن وطمأنينة، ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر. لهذا أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة، والطرق السليمة في مخاطبة الآخر. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّهْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١٦)

على هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، إنه منهج حضارى متكامل في ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم.

وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَا تَجِدُوا أُمَّةً ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهِنَا وَالْهَيْكُمُ وَجَدَّ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١٧)

(١٦) [النحل: ١٢٥].

(١٧) [العنكبوت: ٤٦].

فالحوار ممكن لأن هناك قواسم مشتركة، وهناك مجال للتفاهم والتقارب، وهي الإيمان بما أنزل على المسلمين وغيرهم، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١٨) ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك رصيذا ضخما من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام وهذه القيم كفيلة عند استثمارها، بأن تجعل الأمة الإسلامية في وضع، يسمح لها بأن تنمي فلسفتها الحضارية الإنسانية، وتتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية. ومما هو معروف أنه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم في الحضارة الإنسانية. وإنما ذلك العمل الذي ينمي الحضارة، وينطلق من الأخوة الإنسانية. ومن خلال ما تقدم ذكره يتبين نظرة الإسلام لمفهوم حوار الحضارات وأنه يتوافق مع هذا المفهوم بضوابط وأسس واضحة للحوار.

المبحث الثاني: أسس الحوار بين الحضارات في الإسلام

إن مفهوم الإسلام للحوار الحضاري مع باقي الديانات والحضارات ينبع من رؤيته الواضحة إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالتهم السماوية، ففقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسول جميعا: قال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١٩) لكن ينبغي أن لا يكون هناك تنازل عن الثوابت تحت مسمى حوار الحضارات أو يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساسا راسخا لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفضات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائها كما أن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها.

[١٨] آل عمران: ٦٤.

[١٩] البقرة: ٢٨٤.

فلا بد أن يكون هناك أسس للحوار بين الحضارات حتى لا تتحكم عوامل أخرى في تسيير الحوار لمصلحة طرف معين وحتى يؤدي الحوار ثمرته وسأذكر هنا بعض الأسس والضوابط التي يرى الباحث أنه لا بد منها في حوار الحضارات

أسس حوار الحضارات

- (١) أن يكون الحوار قائم على الحيادية وبعيدا عن التعصب.
- (٢) أن ينطلق المتحاورون من القواسم المشتركة ويتركوا الأمور التي لا يمكن الاتفاق عليها.
- (٣) أن يحترم الحوار المرجعيات والخصوصيات الثقافية، ويتعدى عن التسلط وإلغاء الآخر.
- (٤) أن يتبنى قاعدة (المعرفة والتعارف والاعتراف) وينطلق منها في سبيل التقارب و معرفة ما عند الآخر معرفة جيدة، والتعارف الذي يزيل أسباب الخلافات، ويبعد مظاهر الصراعات. والاعتراف الذي يثمن ما عند الآخر، ويقدر ما يملكه. وهو ما يعين على التقارب والتعاون.^(٢٠) فأبناء الحضارة الإسلامية، والداعون إلى مشروعها الاجتماعي في عصرنا، يسلمون بمقتضى هذه القاعدة وكونها من شروط نجاح حوار الحضارات، ولا يطلبون من أبناء الحضارات الأخرى إلا أن يكون لهم الموقف نفسه، وإلا فإن الحوار سيصبح حديثا من طرف واحد، أو محاولة كل طرف غزو الطرف الآخر ودحره، وهكذا يعيش العالم صراعا وصداما، ولا يعيش حوارا ولا تعارفا.
- (٥) ألا يقوم هذا الحوار على (المركزية الحضارية) التي تريد العالم حضارة واحدة، مسيطرة مهيمنة ومتحكمة الحضارات الأخرى، فالإسلام يريد العالم (منتدى حضارات) متعدد الأطراف، ويريد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند، وتتبادل الثقافات والعلوم والأفكار، في كل ما هو مشترك إنساني عام، وبما يخدم المصلحة العامة لكل الحضارات.

(٢٠) محمد بن قاسم ناصر بوجمام: الحوار بين الحضارات، مقال منشور على الإنترنت:

<http://alnadwa.net/malshar/hewar-hdarat.htm>

٦) أن يكون لدى كل محاور ينتمي لحضارة ما تصور للعالم الذي يحيط به ، وأن يكون ملما بالحضارة الأخرى: واقعها ، تاريخها ، إمكاناتها. ثم يسعى للتفاعل معها؛ بغية فهم الطرف الآخر ، في الحوار ، ثم التفاهم معه. ومن ثم ننتقل في حوارنا الحضاري على بناء أخلاقي.

المبحث الثالث: الحضارات بين الحوار والصراع

قد لا نحتاج إلى دليل لنثبت أن البشرية مرت بفترات من الصراع المتواصل بين الحضارات فالحروب المتعاقبة والدمار يكفي دليلا واضحا على وجود الصراع بين الحضارات وبالمقابل فالحوار الحضاري والتواصل بالعلاقات الثقافية والسياسية كان له دور كبير في التعايش السلمي بين كثير من الحضارات ، فالأصل في علاقات الشعوب والأمم هو التعارف والتحاور كما قال الخالق سبحانه: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢١).

وليس الأمر كما زعم من ذلك- صاحب كتاب صدام الحضارات - الذي يرى أن التفاعل بين الإسلام والغرب صدام حضارات^(٢٢). ؛ والصواب عكس ما رآه فالتفاعل بين الإسلام وأي حضارة أخرى - لاسيما الغرب - قائم على الأخوة الإنسانية والشراكة المعرفية والثقافية.

فتاريخ العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية عرف فترات حوار وتفاعل، وفترات صدام وتطاحن. والحوار والتقارب لا يمكن أن يتم إلا حين يعترف الغرب بقانون تداول الحضارات، وأن يقر أن الحضارة ليست حكرا له، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٣)، نعم إنها اليوم ملك له كما كانت بالأمس ملكا للحضارة الإسلامية، وكما تكون غدا لأمة جديدة، ولم تكن في صدام مستمر فالبدل عن الصراع هو الحوار. وقد قال سقراط لأوظفرون بأنه لتلافي تحول الخلاف إلى أزمة، وتلافي الحل المعتمد على العنف، فليس هناك من سبيل

(٢١) [الخُجرات:١٣].

(٢٢) صامويل هنتنجتون: صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي، ت: طلعت الشايب ، القاهرة: سطور ، ١٩٩٨. ص ١٦٩.

(٢٣) [آل عمران:١٤٠].

غير الرجوع إلى نقاش عقلاني، ويبدو الجدل - باعتباره فنا للمناقشة - المنهج الملائم لحل المشاكل التطبيقية، تلك التي تعنى بالأغراض العملية، حيث تتدخل القيم ويتدخل الرأي لتؤثر المقامات الخطابية.^(٢٤)

وينبغي أن يعلم الجميع إن مصطلح النظام العالمي الجديد الذي تتحدث عنه وسائل الإعلام العالمية، يعني حضارة واحدة مهيمنة مانعة لما سواها. أما النظام العالمي المنشود فهو نظام يقوم بالفعل على المساواة بين البشر: في الفرص، في الحريات، وفي جميع الحقوق البشرية.

المبحث الرابع: ملامح المشروع الإسلامي لحوار الحضارات

إن الإنسان كائن عقل واجتماع، وكائن علاقة وحاجة، ومن البدهة القول بأن هذه الأحوال أحوج حاجتها للقاءات المتحاوررة ليكون المجتمع على بينة من أمر علاقاته، وعلى تناسق مؤتلف، وتفاهم وواع، وترابط معقول^(٢٥) وحين يقتنع العالم برمته بأن حوار الحضارات هو البديل عن صراعها يتحتم على الحضارة الإسلامية التي لا تزال تتسع رقعتها يوماً بعد يوم وهي تلك الحضارة العريقة التي يشهد بعراققتها العدو قبل الصديق أن يكون لها دورا بارزا ومشروعاً واضحاً في حوار الحضارات والتعايش مع الآخر. وهذا المشروع في ظل هذه الحضارة ذات الخصوصية يحتاج إلى ضوابط وشروط لأن طبيعة الحوار تقتضي هذه الضوابط والشروط.

فالحوار حول قضية ما، أو إشكاليات في العلاقة يحتاج - حتى يثمر ثمرته اليانعة - إلى توافق الأطراف على نحو يحقق مصلحة الجميع على حد سواء، وبذلك لا بد أن يحقق الحوار آفاقه ويحقق هدفه الأهم المتمثل بتجاوز إشكالية التصادم، ولكن ذلك لا يمكن أن يتحقق حضارياً إلا وفق اشتراطات تتحقق في طريقه أو أطراف الحوار

(٢٤) نقلاً عن أوطفرون ضمن محاورات أفلاطون، تـ: زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣، ص ٣٠-٣١. وقد أورد هذا النقل العمري - محمد، دائرة الحوار ومزالق العنف، سلسلة محاضرات أقيمت في مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة المنشور ضمن سلسلة إشراقات، كتاب الموسم الثقافي الثالث، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، المنامة - البحرين، ص ١٠.

(٢٥) حسين حمادة: الحوار القرآني، مجلة المعارك، ج ١، ع ١٤١٢، ١٤١٢، بيروت - لبنان، ص ٣٦.

وهذه الشروط من وجهة نظر الباحث تتمثل فيما يلي:

(١) (الاعتراف) بالآخر وأقصد أن يكون الحوار قائم على الاحترام ولا يكون الحوار بين قوي وضعيف. فليس هناك حضارة مهيمنة ولا طرف يملئ ما يشاء فلا ينبغي للضعيف أن يتوهم أنه يكون طرفا في حوار وهو في حالة ضعفه، فلا بد له قبل الحوار أن يتجاوز حالة الضعف، وأن يحقق توازنا ولو في حدود معينة مع الطرف الذي يرشح نفسه للحوار معه، فذلك التوازن ضروري للضعيف لبلوغ مستوى الشريك في الحوار، فإذا توازنت القوى كان هناك مجال للحوار^(٢٦). ولا يلزم من الإقرار بالآخر الإقرار بأنه على حق وإنما هو إقرار بالوجود واحترام للكيان والحقوق البشرية الطبيعية .

فظاهرة الأحادية، والانتقاص من شأن الآخرين، والسعي إلى بسط الهيمنة عليهم، وإلإفراهابهم، وملاحقتهم، والمظاهرة عليهم - لا تعكس بحال أي نوع من الاحترام المتبادل، وإن صح تقييم تلك الظواهر على جانب آخر، فإنما يعكس - بمرارة - عدم احترام أولئك الآخرين أنفسهم وتراثهم، فحق فيهم الضعف والارتقاء وقللة الفاعلية، وتبددت هيبتهم في نفوس أندادهم.^(٢٧)

(٢) (التعرف) على الحضارات الأخرى والاطلاع على تاريخها؛ فإن الفهم للحضارات الأخرى والاطلاع على مختلف الثقافات وسيلة لغاية أعظم، هي تحقيق النجاح في إيصال الفكرة الإسلامية الأصيلة الصحيحة إلى الغرب وهو خطوة ضرورية في أي حوار حضاري جاد، إذ لا يستطيع الطرف العربي - الإسلامي على سبيل المثال نقد الطرف الغربي دون أن يطلع على تاريخه ويفهم فلسفته وطريقة تفكيره ويستوعب ثقافته جيدا. ويلزم من هذا التعرف أن تقوم كل حضارة بالتعريف بحضارتها بالطريقة المناسبة والدفاع عن حضارتها ورد التهم والشبه التي تثار حولها وهذا حق من حقوقها ومن هنا وجب على المنتمين للحضارة الإسلامية أن يقوموا قبل الحوار

(٢٦) العلواني: طه جابر، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، قضايا إسلامية معاصرة، ط: ١، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣، دار الهادي، بيروت - لبنان، ص ١٢٦.

(٢٧) الوبيشي: عطية فتحي، حوار الحضارات - إشكالية التصادم، وأفاق الحوار، حقائق ومفاهيم لا ينبغي أن تغيب، ط: ١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١، مكتبة المنار الإسلامية، حولي - الكويت، ص ٢٧٤.

بنقل الصورة الصحيحة عن الحضارة الإسلامية وتصحيح النظرة القاتمة، فلا بد من نقل الصورة الصحيحة عن الإسلام للغرب فالإعلام الغربي قد سلط الضوء على بعض التصرفات التي تصدر من جماعات متطرفة وجعلها هي الإسلام فوصموا الإسلام بالإرهاب وتشوهت صورة الحضارة الإسلامية عند الكثير، وأصبح الإرهاب ما هو إلا نتاج الإسلام، والإسلام مصدر الإرهاب. فتصحيح صورة الإسلام مرحلة مهمة قبل حوار الحضارات.

(٣) (المعرفة) والمقصود بالمعرفة أن يدرك كل محاور ما هدفه من الحوار وأن يعرف جيدا مشروعه في الحوار واستعداده للحوار وإمكانياته ومن هنا يلزم علينا كأمة إسلامية أن يكون لدينا مشروع إسلامي حضاري واضح الهدف ينطلق من روح الإسلام.

وهذا المشروع الحضاري ينبغي أن يكون مشروعاً شاملاً لمختلف الجوانب ويقدم معالجات لكثير من المشكلات العالمية من أبرزها (السلام العالمي - النزاعات الدولية - النظرية الاقتصادية).

إن الحوار بين الحضارات لا يمكن أن يؤولي ثماره حتى تكون ملامحه واضحة لتحقيق الهدف والمقصود، فقد يكون الهدف هو تعريف كل طرف بخصوصياته الثقافية والمعرفية للطرف الآخر، حتى يتحقق الإدراك لإيجابية التعامل، وبناء علاقة أكثر وضوحاً بين الطرفين أو الأطراف، كما حدث ذلك في تجربة الحوار الإسلامي الياباني، حيث عقدت ندوة لحوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان، وذلك بدعوة من وزير خارجية اليابان السابق "يوهي كونو" لتعزيز الحوار مع العالم الإسلامي، حيث جاءت الدعوة إلى إقامة علاقات ذات أوجه متعددة، تخدم هدف تصحيح الصور النمطية عن العالم الإسلامي من جانب، واليابان من جانب آخر. (٢٨)

فحدد هدف المؤتمر بكل وضوح، حيث قرر بأن هذا المؤتمر إنما هو لتعارف الثقافات فوضوح الهدف يسهل الوصول للنتيجة.

فهذه الضوابط والأسس التي يراها الباحث شرطاً أساسياً للحوار يمكن أخصها

(٢٨) ندوة الحوار الإسلامي الياباني، ٢٨ - ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٢ - ١٢ - ١٣ مارس ٢٠٠٣، مركز البحرين للدراسات والبحوث، المنامة - البحرين، ص ٩.

في ثلاث كلمات لكل كلمة منها مدلول بينته ووضحته وهي: (اعتراف وتعريف ومعرفة) .

الخاتمة :

تتلخص محتويات هذا البحث ونتائجه وتوصياته فيما يلي:

(أ) خلاصة البحث:

إن مفهوم الحوار بين الحضارات مفهوم إسلامي أصيل، له أدلته ودلالاته، وإن الأصل في الحضارات الحوار لا الصراع، وأن حوار الحضارات له أسس وضوابط من (الاعتراف والتعريف والمعرفة) لا بد لكل حضارة أن تلتزم بها لنجاح هذا الحوار وقد كان للإسلام دور واضح في هذا الباب وار على مدار التاريخ الإنساني، فالإسلام جاء لإكمال مكارم الأخلاق واحترام كل ثقافة لا تتعارض مع أصوله ويرفض المركزية الحضارية وتهميش الحضارات وسيطرة حضارة واحدة على العالم تتصرف فيه كما تشاء، كالحضارة الغربية، وسلوكها في الواقع، في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية.

حين ازداد الصراع وصار صداما بين الحضارات كان لا بد من الرجوع إلى الحوار فهو مشروع عالمي قبل أن يكون فكرة فردية أو مشروع حضارة. يحتاج مشروع حوار الحضارات إلى خطط وبرامج ووقت ونيات صادقة وتضحيات كبيرة تتناسب مع حجم المشروع.

(ب) نتائج البحث:

- (١) الإسلام يدعو إلى الحوار وينبذ الصراع ويقرر مبدأ التعارف والتعايش.
- (٢) لا يمكن أن يتم حوار بين حضارات بدون أسس واضحة وضوابط وتعارف واعتراف.
- (٣) إذا لم يتم الحوار بين الحضارات فإن البديل الحتمي لهذا الحوار هو الصراع الذي نتيجته الحتمية هو سيطرة حضارة ما يؤدي حتما إلى إضعاف الحضارات الأخرى، من هنا يجب على كل حضارة أن لا تقبل بهيمنة أية حضارة عليها، بل تقاومها لضمان سلامة مرجعيتها.

٤) الدور الحاقق لبعض وسائل الإعلام الغربية الحاققة على الإسلام والمسلمين كان عاملاً مهماً من عوامل تشويه الحضارة الإسلامية. وترتب على ذلك توجيه القرار الغربي ضد الإسلام والمسلمين والعرب.

٥) لا بد من التفكير الجاد لمشروع حضاري إسلامي لتحويل الصراع إلى حوار، مشروع يضمن الحفاظ على الثوابت والمشاركة الفاعلة في حوار الحضارات.

(ج) توصيات البحث:

١) وضع خطط واضحة في سبيل إنجاح فكرة الحوار بين الحضارات والثقافات، وذلك من خلال تبني هذا المشروع عن طريق هيئات ومؤسسات حكومية وغير حكومية والاستفادة من كل فكرة داعمة لهذا المشروع.

٢) عقد اللقاءات و المؤتمرات والندوات والفعاليات الثقافية المشتركة مع الحضارات الأخرى لدراسة المسائل التي تهم الطرفين من أجل تشكيل مفاهيم مشتركة حولها وتحرير النفوس والعقول من وطأة الصراع التاريخي بين الحضارات.

٣) بذل الجهود الدولية السلمية الفاعلة من أجل حل المشكلات الكبرى المعقدة والمزمنة التي تشكو منها المناطق التي يتولد فيها العنف والتمييز العنصري.

٤) التأكيد على أهمية القيم الإسلامية في تحقيق كرامة الإنسان وإقامة العدل، وتحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات البشرية من الكوارث، والفقر، والجهل والتدهور الأخلاقي.

٥) أن تقوم الدول والمؤسسات بتبني هذا المشروع وتسخير كافة الإمكانيات وفي مقدمتها آراء علماء الشرع وضوابطهم لهذا المشروع الإسلامي العالمي.

المراجع والمصادر :

أولاً: المراجع العربية

- (١) أكرم حجازي : بين توتر الذات وصمم الآخر ثمة محاولات للعقلنة ، ورقة قدمت إلى ندوة حوار الثقافات التي عقدتها كلية الآداب في جامعة تعز - اليمن ، الموسم الثقافي السنوي ، ٥/٢٣ - ٦/٣ - ٢٠٠٤ <http://alnadwa.net/malshar>
- (٢) أوظفرون: محاورات أفلاطون، ت: زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣، ص ٣٠ - ٣١، وقد أورد هذا النقل العمري - محمد، دائرة الحوار ومزالق العنف، سلسلة محاضرات أقيمت في مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة المنشور ضمن سلسلة إشراقات، كتاب الموسم الثقافي الثالث، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، المنامة - البحرين، ص ١٠ .
- (٣) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح، (١٩٧٩م)، دار العلم للملايين، بيروت.
- (٤) ديماس: محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، (١٩٩٩م)، دار ابن حزم، الرياض، ص ١١ .
- (٥) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.
- (٦) صامويل هنتجتون: صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي، ت: طلعت الشايب ، القاهرة: سطور ، ١٩٩٨. ص ١٦٩ .
- (٧) القرضاوي: يوسف القرضاوي : الحوار بين الإسلام والنصرانية ، موقع إسلام أون لاين ، ركن الإسلام وقضايا العصر، بتاريخ ١٣/١٠/٢٠٠٥ .
- (٨) محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الحوار بين الحضارات ، مقال منشور على الإنترنت : <http://alnadwa.net/malshar/hewar-hdarat.htm>
- (٩) محمد عمارة: التراث والمستقبل ، القاهرة : دار الرشاد ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م ، ص ٢١٥ .

١٠) ندوة الحوار الإسلامي الياباني، ٢٨ - ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٢ - ١٢ - ١٣ مارس ٢٠٠٣، مركز البحرين للدراسات والبحوث، المنامة - البحرين، ص ٩ .
 ١١) الويشي - عطية فتحي، حوار الحضارات - إشكالية التصادم، وآفاق الحوار، حقائق ومفاهيم لا ينبغي أن تغيب، ط: ١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١، مكتبة المنار الإسلامية، حولي - الكويت، ص ٢٧٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية :

- 1) Akbar Ahmed, Josting Donnan: Islam, Golbalization and Postmodernity, routledge, London 1994.
- 2) Ali Mazriui: Islamic values and Western , values. Foreign Affairs vo. 67, 1997.